دراسة شعر
عبد الله بن رواحة الإسلامي

روح إسلامية :

إن شعر عبد الله بن رواحة ، بعد بيعة العقبة ، إسلامى بكل ماتتحمل هذه اللفظة من معان . ونحن هنا سنحاول تناول هذا الشعر بالدراسة ، مراعين ما أمكن ، الترتيب الزمنى التقريبى له . ومن المقطوعات التى نظمها ابن رواحة قوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ، أن ماقال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
واعلم علما ليس بالظن أننى إلى الله محشور هناك وراجع

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن أخا لكم لايقول الرفث ، يعنى ابن رواحة ، وذلك لقوله هذه الأبيات [1] .

والمتأمل للبيت الأول يتبين أن الشاعر فرح فخور بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم كيف لا ، وهو من الأنصار الذين نصروا رسول الله ، ورحبوا به فى مدينتهم ، واحتضنوه فى منازلهم ، وانطوت على حبه قلوبهم ، ودافعوا عنه أكثر من دفاعهم عن أهلهم وذويهم . وحق للأنصار أن يفرحوا وأن يفخروا ، خاصة وأن القرشيين الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم عميت قلوبهم التى فى

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٢ .

صدورهم عن حقيقة عظمة النبي القرشي الهاشمي . بينما فطن لها الأنصار ، وباقي البيت يبدو فيه التأثر الواضح بقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » (١) .

والتلاوة فى البيت ، تشمل صلاة الفجر وتلاوة القرآن المجردة . وتأمل الفعل « انشق » الذى يدلّ على شق النور لأديم الظلام ، ولفظتى « معروف » و « ساطع » فى الدلالة على جمال الفجر وروحانيته . وللفجر فى المدينة المنورة جمال وروحانيه لا يتصورهما على حقيقتهما إلا من عاشهما فعلا ، فكيف بالفجر الذى يزينه وجهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم وترتيله القرآن ترتيلا .

وفى البيت الثانى يقارن بين العمى الذى كانوا فيه فى الجاهلية ، والهدى الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم سبباً فيه .. فقد غدت قلوبهم مؤقنة بأن كل ماقاله النبيّ من أمور غيبية واقع لا محالة . وهذا البيت يذكرنا بقوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٢) وقوله : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » (٣) .

وفى البيت الثالث يصور حال النبى صلى الله عليه وسلم الذى يقضى جزءاً كبيرا من الليل فى العبادة حتى تتورم قدماه . وهو يذكرنا بقوله تعالى :

---

(١) الإسراء ، ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) الجمعة ، ٢ .
(٣) النجم ، ٣ ، ٤ .

«إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكروا بها خَرُّوا سُجَّداً وسبّحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم ينفقون[١] » وبقوله مخاطباً رسوله: «طه،ما أنزلنا القرآن لتشقى»[٢] وبقوله : « يايها المزمل ، قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، إن ناشئة الليل هى أشد وطأً وأقوم قيلا»[٣] وبقوله فى نفس السورة[٤] «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ... » وفى هذا البيت يصور المشركين الذين هم كالأنعام ، بل أضل سبيلا ، بأن مضاجعهم ، تتبرم بهم ، وتشكو ثقلهم ، لطول نومهم ، وإخلادهم إلى الكسل والراحة،وعدم معرفتهم لعبادة الله التى من أجلها خلقوا .

وفى البيت الأخير يقرر علمه اليقينى بالحشر ويوم الحساب ، ويأتى بالمصدر « وأعلم علما » ولا يخفى دوره التوكيدى ، ثم هو ينفى الظن عن هذا العلم « ليس بالظن » وكثير هى الآيات التى تتحدث عن البعث والنشور . وقد كان ابن رواحة يتمثل ذلك الموقف الرهيب دائماً[٥] .

---

(١) السجدة ، ١٥ ، ١٦ .

(٢) طه ، ١ ، ٢ .

(٣) المزمل ، ١ — ٦ .

(٤) آية ٢٠ .

(٥) أنظر مثلا تعليله لبكائه أثناء خروجه إلى مؤته فى تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٢ وتاريخه ، مجمع دمشق ، ١ / ٣٩٣ ، والسيرة ٢ / ٣٧٣ وحجته ، التى رضى عنها النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته على الأرض لا على ظهور الرواحل : تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة : ما الشعر ؟ قال : شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً ، قال : فهل تستطيع أن تقول شيئا الآن ؟ فنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم [١] ، وأنشد في الحال قوله [٢] .

فخبّروني أثمانَ العباء متى ... كنتم بطاريقَ أو دانت لكم مُضرُ

نجالدُ الناس عن عُرضٍ فناسِرهم ... فينا النبي وفينا تنزل السُّور

وقد علمتم بأنا ليس غالبنا ... حي من الناس، إن عزوا وإن كثروا

يا هاشم الخير ، إن الله فضّلكم ... على البرية فضلا ما له غير

إني تفرست فيك الخير أعرفه ... فراسة خالفتهم في الذي نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم ... في جل أمرك ما آووا وما نصروا

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

وهو يهجو فيها بني عمرو بن مخزوم وغيرهم من قريش ، ويمدح آل هاشم وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ويبدؤها بتعيين ثمن هؤلاء المشركين وقيمتهم التي لا تعدو في نظره لكفرهم العباء التي يلبسون [٣] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ وانظر الاستيعاب ٢ / ٢٨٧ .

(٢) الأبيات السبعة الأولى من طبقات ابن سلام : أما الثامن فقد جاء في السيرة وتاريخ ابن عساكر مع السابع والخامس ؟

(٣) لما قال : فخبروني أثمان العباء ، عرف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة أن جعل قومه أثمان العباء ، تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٠ .

ويطلب منهم فى صيغة الاستفهام الإنكارى بأن يخبروه متى كانوا فى يوم من الأيام قادة حاذقين بالحرب وأمورها ، ومتى خضعت لهم مضر الحمراء فضلا عن غيرها . إنه يعيرهم بأن سلطانهم ضيق لا يتجاوز حدود قبيلتهم ، بعكس المسلمين الذين تتسع حدود سلطانهم بمن الله وفضله . وهذا يذكرنا بقوله تعالى «أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب »[1] .

وفى البيتين الثانى والثالث يشير إلى جهادهم لكل المشركين مستخدماً لفظة « الناس » ويعنى بها القرشيين وسواهم . وكأنه يقول : أننا وفينا للنبى صلى الله عليه وسلم بالعهد الذى قطعه علينا من حرب الأحمر والأسود ونفذنا إذن الله لنا فى القتال بعد العقبة الثانية[2] فى قوله تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

---

(١) الرعد ، ٤١ .

(٢) السيرة ١ / ٤٥٤ .

(٣) السيرة ١ / ٤٦٧ .

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [١] ﴾ .

ثم أنزل الله تبارك وتعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » أى لايفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله « أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره [٢] » وحينما يقول ابن رواحة « فنأسرهم » يذكرنا بقوله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها [٣] » .

وواضح أن الأسر هنا دليل الانتصار والقوة . وهل تستطيع فئة كافرة أن تقف أمام المسلمين وفيهم النبى صلى الله عليه وسلم الذى تنزل عليه السور من السماء تترى . لهذه الأسباب ، بالإضافة إلى الشجاعة المتأصلة فينا ، أنتم علمتم يقينا ، بانه ليس هناك حى من الناس يستطيع أن يغلبنا مهما كان عزيزاً وكثيراً عدده . وهذا يذكرنا بقوله تعالى : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ، وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم » [٤] . وينادى بنى هاشم من

---

(١) الحج ، ٣٩ — ٤١ وجاء فى السيرة ١/٤٦٧ « فكانت أول آية نزلت فى أذنه له فى الحرب واحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى (الآيات) أى أنى إنما أحالت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين » .

(٢) السيرة ١ / ٤٦٨ .

(٣) محمد ، ٤ .

(٤) محمد ، ٣٥ .

قريش ، مضيفاً إليهم الخير . « يا هاشم الخير » مشيراً إلى تفضيل الله عز وجل لهم على سائر البرية تفضيلا لن يتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وكيف يتغير والنبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم ؟ !

ويستمر فى البيت الخامس مخاطباً له ، صلى الله عليه وسلم ، معيراً مشركى قريش ، فهم الذين تولوا فاستبدل الله قوماً من الأنصار غيرهم . ومنهم عبد الله بن رواحة الذى تفرس الخير فى وجه المصطفى فصدقت فراسته ، وأثبت أنه ألمعى يظن الظن فكأنه رأى وسمع ، مخالفاً لغباء مشركى قريش ، الذين كذبوا النبى صلى الله وآذوه وأخرجوه من بين ظهرانيهم . وإنها لزلة الأبد أن يخرج مشركو قريش النبىّ القرشى من بينهم فيحتضنه ابنا قَيْلة ، الأوس والخزرج ، مقدرينه حق قدره . وفى البيت السادس يأتى بالفعلين « استنصر » و « نصروا » والفعل « آووا » وليس بعيداً عن ذهنه لقب الأنصار الذى خص به هذان الحيان ، وقوله تعالى « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »[1] وقوله « والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً »[2] وهو لقب يصور طبيعة نصر هذين الحيين للنبى صلى الله عليه وسلم ومبايعتهم له على أن يحموه مما يحمون منه أزرهم[3] وهو يستخدم لفظة « جل » بشأن رفض مشركى قريش المتكرر مساعدته فى معظم شئونه ولسان حاله يقول : إن الأنصار قد نصروه فى أموره كلها . ويستمر داعياً الله عز وجل أن يثبت ما آتاه الله من حَنَنِ تثبيتَ نبىٍّ

---

(١) الانفال ، ٧٢ .

(٢) الانفال ، ٧٤ .

(٣) جمع إزار ؛ والمراد النساء .

الله موسى ، وأن يهبه النصر الذى وهبه الأنبياء السابقين . وقد وقع هذا البيت :

فثبَّت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

من النبى صلى الله عليه وسلم موقع الرضا ، فقد قال حينما سمعه : « وأنت فثبَّتك الله يا ابن رواحة » قال هشام بن عروة : فثبته الله عز وجل أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له الجنة فدخلها (١) .

والبيت الأخير الذى ينم عن حب عميق من ابن رواحة له صلى الله عليه وسلم ، يقارن فيه بين وضعه هو والمسلمين الذين تنالهم دائماً بركة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويستمتعون باختلاس النظر لوجهه الكريم ، وبين المشركين الذين أزرى بهم القدر ، وألحق بهم نقصاً وخسراناً يلازمهم الدهرَ ، بسبب موقفهم الخاطىء من الإسلام ورسول الله إليهم وإلى الناس كافة .

وهناك مقطوعة من ثلاثة أبيات فى الرجز تفيض بالمعانى الإسلامية :

باسم الإله وبه بدِينـا
ولو عَبَدْنا غيره شَقِينا
وحبَّذا ربا وحبَّ دِينَا

وواضح أنها تتحدث عن الاعتماد على الله عز وجل وعبادته وتمجيده وتمجيد دينه الحنيف .

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٢٨٧ وانظر تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ .

الرجز وحفر الخندق :

من أهون البحور نظما على العربى وأكثرها دوراناً على لسانه بحر الرجز لانسجام صوره المتعددة مع حركات العمل المختلفة، ولأن مقطوعته حتى الإسلام، كان يفترض فيها أن تكون محدودة الأبيات، ثم هو فى أغلب الأحيان وليد ساعته. وهذا يفسر ملازمته المعتادة للمحاربين وقت المبارزة. ولعبد الله ابن رواحة كمية من الرجز طيبة، جارى بها الحوادث ومقتضيات الأحوال. فقد روى مثلا أن النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق كان ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز لعبد الله بن رواحة.[1] وروى أن عبد الله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله عليه السلام : اللهم ارحمه. فقال عمر : وجبت، يعنى الشهادة والجنة[2] والأبيات هى :

يارب لولا أنت ما اهتدَيْنَا
ولا تصدَّقنا ولا صلَّينَا
فأنزلنْ سكينةً علينـا
وثبِّت الأقدام إنْ لاقينـا
إن الكُفَّار قد بَغَوْا علينا[3]
وإن أرادوا فتنةً أبَيْنا

وواضح انسجام موسيقى هذه المقطوعة مع حركة الحفر التى يقوم بها المرتجزون، ثم هى تزخر بالمعانى الإسلامية، فيبدأها معترفاً بمنِّ الله وفضله على

(١) (٢) تهذيب ابن عساكر ٣٩١/٧ .
(٣) أبطاء فى « علينا » .

الفئة المؤمنة بالهداية إلى طريق الرشاد . وهناك الإشارة إلى الصدقة والصلاة ، وهناك الدعاء بإنزال السكينة على المؤمنين وتثبيت الأقدام ساعة اللقاء ، واستعمال لفظة الكفار ، وكذلك البغى والفتنة بمعناهما الإسلامى . ولا يخفى أن هذه المعانى جديدة على العرب ، وأن التأثر فيها بالقرآن الكريم بيّن .

الرجز وعمرة القضاء :

صدَّ مشركو قريش النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست عن أن يأتى هو والمسلمون وعددهم سبعمائة [١] بالعمرة ، وكان صلح الحديبية الذى من أهم شروطه فى نظر المشركين « أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً [٢] » فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع [٣] وروى أن عبد الله ابن رواحة كان آخذاً بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة [٤] وحين طاف بالبيت [٥] وكان عبد الله يرتجز قائلا :

خلّوا بنى الكفار عن سبيلهِ
خلوا فكلُّ الخير فى رسولهِ

---

(١) السيرة ٢ / ٣٠٩ .
(٢) السيرة ٢ / ٣١٦ .
(٣) السيرة ٢ / ٣٧٠ .
(٤) السيرة ٢ / ٣٧١
(٥) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩١ .

يارب إنى مؤمن بقيله
أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهامَ عن مقيله
ويذهل الخليلَ عن خليله

وروى أن عمر بن الخطاب أنكر هذا الرجز على ابن رواحة قائلا : « أو هاهنا يا ابن رواحة أيضاً ؟ »[1] وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « خلّ عنه ياعمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النَّبْل ».[2] والحقيقة أنه كان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكان فى ذلك الزمان أشد شىء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شىء عليهم قول ابن رواحة[3] .

وكون ابن رواحة يأخذ بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم ، ذلك دليل على منزلته عنده وكونه يرفع صوته بهذا الرجز ، الذى كله هجوم على المشركين الذين كانوا قوياً الشوكة وقتئذ ، فى عقر دارهم ، فى مكة التى لم تكن بعد قد

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩١
(٢) المصدر نفسه
(٣) غ « ق » ١٥/٢٩ وانظر « الدار » ٤/١٣٨

فتحت ، ذلك دليل على إيمان ابن رواحة العميق ، وتغلغل روح الفـــداء والتضحية فيه .

فى هذا الرجز ، يخاطب ابن رواحة « بنى الـكفار »، وليس فى ذلك تعريض بالحاضرين فقط ، بل وبالأموات من الآباء والأجداد ، ويأمرهم أن يتركوا طريق النبى صلى الله عليه وسلم خالياً منهم كى يملأه بالخير كل الخير ، إنهـم عريقو النسب فى الـكفر ، أما هو فمؤمن بكل ما يوحى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم يقينا أن لله حقاً فى قبول ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى .

والأبيات الأربعة التالية توحى بالثقة المطلقة والإيمـان العميق : إننا نحن الذين قتلناكم على تأويله ، وهو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به ، كما فى قوله تعالى :« هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتى تأويله » (١) كما قتلناكم على تنزيله ، حينما أمرنا الله عز وجل أن نقاتلـكم ، وهو يشير إلى ما فعلوا بهم خاصة فى بدر ، وقد قال ابن رواحة فى الموضعين « قتلناكم » مشيراً إلى النتائج الإيجابية للقتال الفعلى ، فقد يكون هناك قتال دون قتل . ويستعمل المصدر « ضرباً » فى قوله « ضرباً يزيل الهام عن مقيله » والذى يقوم بهذا العمل هو السيف ، ولا يعمل إلا إذا كان هناك تلاحم بين الفريقين المتقاتلين . وكون السيف الذى يستعملون يزيل الهام من مغرزه بين الـكتفين ذلك دليـل على خبرتهم التـامة باستعمال السلاح ورباطة جأشهم سـاعة الفزع .

---

(١) محمود شاكر . هامش طبقات ابن سلام .

هذا الضرب من الشدة للدرجة التى تجعل الذى أَصْفَى المودةَ وأصحّها مشغولا بنفسه مذهولا عن خليله ، وكأنه فى يوم الحشر . وواضح أن السبب الذى يكمن وراء شدة الضرب أن هذه الفئة مؤمنة بينما الأخرى كافرة .

شعره وغزوة مؤتة :

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء المدينةَ فى ذى الحجة وأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة فى جمادى من سنة ثمان[1] . وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدى ثم أحد بنى لهب إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال: أين تريد ؟ قال الشام . قال لعلك من رسل محمد ؟ قال : نعم . أنا رسول رسول الله . فأمر به فأُوثِق رباطاً ، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً . ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر فاشتد عليه ، وندب الناسَ ، وأخبرهم بمقتل الحارث ومَنْ قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف [2] وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فى مؤتة زيد بن حارثة ثم قال : ثم قال : فإن أصيب زيد فجعفر ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب فَلْيرتضِ المسلمون رجلا فيجعلوه عليهم ، فتجهز الناس وتهيئوا للخروج [3] وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مجمع دمشق ١/٣٨٨ .
(٢) » » » » » ١/٣٨٩ .
(٣) » » » » » ١/٣٨٨ .

الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما وُدِّع عبد الله ابن رواحة . . . . . بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابى حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار :« وإن منكم إلا واردُها ، كان على ربك حتما مقضياً» فلست أدرى بالصدَر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغ تقذف الزَّبدا
أو طعنة بيدىْ حرّانَ مجهزة بحربة تُنْفِذُ الأحشاء والكبِدَا
حتى يقال إذا مروا على جدثى أرشده الله من غاز وقد رشدا[1]

لنتصور هذا المشهد الرهيب المهيب ، جيش سينطلق غازياً لا يدرى ما الله صانع به ، وقد خرج لتوديعه على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ويدْعى لهم بأن يعودوا صالحين سالمين ، ويؤمن الجميع باستثناء ابن رواحة الذى يسأل الله عز وجل وقتها الشهادة . فما السبب الذى دفع ابن رواحة إلى ذلك ؟ إذ المعروف أنه من الثلاثة والسبعين رجلا الذين شهدوا العقبة الثانية، وأحد الاثنَىْ عشر نقيباً الذين اختيروا بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة والذين قال لهم: « أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى » يعنى المسلمين [2] وشهد بدراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه

(١) السيرة ٢/٣٧٣ .
(٢) السيرة ٢/٤٤٦ .

وسلم ، عن المحاربين فى بدر « لعل الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » [١] وهو أحد الأنصار الثلاثة الذين خرجوا فى بدر للمبارزين الثلاثة من قريش ، فرفض القرشيون مبارزتهم [٢] وشهد أحداً والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلها. [٣] وقد كان « أول خارج إلى الغزو وآخر قافل » [٤] وفوق كل ذلك كان عابداً لله حق العبادة ، فقد جاء مثلا فى الحديث « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ، وإن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، ما منا صائم إلا ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة [٥] » ومعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم مُعَانٌ من الله عز وجل على العبادة [٦] وكان ينهى المسلمين أن يتكلفوا فوق طاقتهم ، ولكن حرص ابن رواحة على التأسى برسول الله هو الذى يدفعه إلى تجشم أمثال هذه الصعاب . وكان صلى الله عليه وسلم يرضى عن فعل ابن رواحة الحريص على الثواب [٧] وأحياناً يُرْشده إلى الطريق الأمثل [٨]

وله الكثير من المناقب التى أجمع عليها كل الذين تحدثوا عنه . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنه : « رحم الله ابن رواحة ، كان أينما أدركته

---

(١) السيرة ٢/٣٩٩ .
(٢) السيرة ١/٦٢٥ .
(٣) الاستيعاب ٢/٢٨٥ .
(٤) الاستيعاب ٢/٢٨٥ .
(٥) تهذيب ابن عساكر ٧/٢٨٩ .
(٦) نيل المرام ١/٣٢٢ .
(٧) أنظر مثلا تهذيب ابن عساكر ٧/٣٨٧، ٣٨٨ .
(٨) تهذيب ابن عساكر ٧/٣٨٩، ٣٩٠ .

الصلاة أناخ » [١] وقال أيضاً عنه فى حياته « يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » [٢] والمراد مجالس العلم .

وقال : « نِعْمَ الرجلُ عبد الله ابن رواحة » فى حديث طويل [٣] ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وله من المنزلة فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مالا يخفى وكأن النبى صلى الله عليه وسلم أدرك أن فرح ابن رواحة بانتصار المسلمين فى بدر ليس عليه من مزيد ، فبعثه « بشيراً إلى أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافِلَة » [٤] .

إن السبب الذى دفع ابن رواحة إلى طلب الشهادة بدلا من أن يعودَ صالحاً سالما هو أن هذا الرجل ، المثالى الإيمان ، لم يكن يقنعه إلا أن ينال أعلى الدرجات التى يمكن لمؤمن من أتباع محمد بن عبد الله أن ينالها . وليس هناك درجة أعلى من الشهادة يمكن أن تنال لشخص مثله ، لذلك سعى إليها هذا المؤمن الطموح ، وحرص عليها ، ودعا الله عز وجل مخلصاً أن يهبها له . والآن هو على وشك التوجه إلى غزوة من أهم الغزوات . وهل يمكن أن تنال الشهادة إلا فى مثل هذه الغزوة ؟ إنها فرصة العمر بالنسبة له . وفى تلك

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٨ .
(٣) ا ص ٢٩٨ وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .
(٤) السيرة ٢ / ٦٤٢ . وانظر ١ ص ٢ / ٢٩٨ .

اللحظة الخالدة يتجاذب ابنَ رواحة حبُّ النبى صلى الله عليه وسلم الذى سيفارقه ورهبة المعانى فى قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضياً » والرغبة فى الشهادة ، غير المتأكد من حصوله عليها ، فيبكى رضى الله عنه ، ويجد برد فؤاده فى الابتهال إلى الله عز وجل أن يتكرم عليه بالشهادة ، وكأنه تذكر قوله آنفاً « لا أزال حبيساً فى سبيل الله حتى أموت » حينما أنزل الله عز وجل فى نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا فى مجلس : لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت ، قوله [1] : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص » [2] فتجرى على لسانه تلك الأبيات الثلاثة التى تتفجر بالفداء والتضحية .

وواضح أنه يبدأ البيت الأول بلكن ، وكأنه يريد أن يستدرك على أولئك الذين دعوا له بالعودة سالماً . إنه يسأل الله عز وجل المغفرة التى يشفع فى سبيلها السؤال بالعمل . وأى عمل أشرف من أن يُقتل الإنسان مجاهداً فى سبيل الله فينال الشهادة . لذلك هو يأتى بواو العطف ، : « لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة . . . أو طعنة » إنه يستعمل « ضربة » المرتبطة بالسيف و « طعنة » المرتبطة بالرمح . وقد ابتدأ بالضرب الدال على تصميم مجاهدنا على التلاحم فى المعركة بالأعداء . وإن كان البعد بين المتحاربين محدوداً أمكن استعمال

---

(١) الصف ٢ — ٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٩ .

الرمح ، وهو ما عناه بقوله « أو طعنة » ولم يخطر ببال الشاعر أن يكون بينه وبين أعداء الله فى المعركة مسافة يحوجهم فيها إلى استعمال النبال .

إن حرصه على الشهادة لا يجعل مثل هذا البعد بالنسبة له ممكناً .

وتأمل نوع الضربة التى يتمنى .. إنها ضربة بالسيف واسعة عميقة يتدفق بسببها الدم وكأنها تقذف به وقد علاه زبده ورغوته . وتأمل نوع الطعنة . إنها طعنة بحربة من يد كافر يغلى الحقد على الإسلام فى جوفه ، تُنفِذُ من ابن رواحة ما دون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ، ويخرج طرفها من شقه الآخر ، فيضمن بإحداهما الجنة .

ويستمر الشاعر فى سؤاله ، وكأن الله عز وجل قد استجاب له فعلاً .

حتى يُقال إذا مرّوا على جدثى أرشده الله من غاز وقد رشدا

ومعنى الشطر الثانى أن الله عز وجل قد هداه إلى طريق الحق ، طريق الجهاد فى سبيله ، فسار فيه واستمر حتى النهاية . ولكن من الذى يقول هذا ؟ إنهم المؤمنون حقا والغازون فى سبيل الله ، الذين انتفعوا من الدرس الذى ألقاه ابن رواحة . ويبدو هنا تفاؤله ببقاء ذلك المكان النائى آنذاك « مؤتة » آهلا بالمسلمين ، ورغبته فى الجمع بين الشهادة والعزبة .

ونحن فى غنى عن أن نقول : إن ابن رواحة الشجاع ، كان إيجابيًّا فى طلبه الشهادة ، إذ لم يكن من المعقول أن يقدم نفسه لقمة سائغة لأعداء الله ، ولكنه من الذين يشملهم قوله تعالى فى كتابه العزيز « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتَلون وعداً

عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم[1] » .

وتحرك الجيش ، وعاد المودعون ، فلم يفتقد ابنُ رواحة غير النبى صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه :

خلف السلام على امرىء ودّعته فى النخل خيرِ مشيِّع وخليلِ

فالله عز وجل خليفة على خير من خرج للتوديع ، وخير من أصفى المودة وأصحّها ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ودعه ابن رواحة . ويلاحظ أن لفظة الخليل تكرر استعمالها فى رجز ابن رواحة . وهى بدورها تكررت فى القرآن الكريم ، ودارت على لسانه صلى الله عليه وسلم . وانطلق الجيش متوجهاً إلى مؤتة ، والعادة جرت أن يمتطوا النوق ويجنبوا الخيل إلى المعركة ومنها[2] .

وروى عن زيد بن أرقم ، الذى كان يتيما فى حجر عبد الله بن رواحة ، فخرج به فى سفره ذلك مردفا له على حقيبة[3] رحله ، أنه سمعه وهو يسير فى إحدى الليالى ينشد أبياته هذه :

إذا أدْيْتِنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء

---

(١) التوبة ، ١١١

(٢) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد عليا فى أثر أبى سفيان ومن معه « وقال : أنظر ، فان جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة » تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٦٠ .

(٣) الحقيبة فى الأصل ، العجيزة ، ثم سمى مايحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة مجازا ، لأنه محمول على العجز .

فشأنك أنعمٌ وخلاك ذم ولا أرْجِعْ إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى بأرض الشام مشتهى الثواء
وردّك كلّ ذى نسب قريبٍ إلى الرحمن ، منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بَعْل ولا نخلٍ أسافلها رواء

فلما سمعته منه بكيت . قال : نخفقنى[١] بالدّرة[٢] وقال : ماعليك يالكع[٣] أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى[٤] الرحل[٥] !

فى هذه المقطوعة ، يخاطب الشاعر ناقته بقوله : إذا أوصلتنى المكان الذى أبغى ، مكان الجهاد فى سبيل الله ، وحملت مركبك الذى عليه أجلس مسافة أربع ليال بعد قرية أحساء[٦] ، فمن حقك أن تنعمى بالحرية المطلقة ، والمسرة الدائمة ، لأنك قمت ، غير مذمومة ، بكل ما أطلبه منك بإيصالى إلى ساحة الجهاد ، فإنى قد دعوت الله عز وجل أن يكتب لى الشهادة وألا يعيدنى إلى أهلى . فحينما تعودين لن تكلفى مثل هذه المشقة ثانية . والشاعر يحدد الليالى التى يحتاجها بعد الحساء للوصول إلى مكان المعركة ، فقد كان هو وقومه على علم تام بخطة سيرهم . ثم هو مطمئن النفس مرتاح البال قرير العين سعيد بهذا العمل الحميد الذى يقوم به ، معترف بفضل ناقته عليه ، وباليد البيضاء التى أسدتها إليه

---

(١) خفقنى : ضربنى .
(٢) الدرة : السوط .
(٣) يالكع ، كصرد : يالئيم .
(٤) شعبتا الرحل : طرفاه ، المقدم والمؤخر .
(٥) السيرة ٢ / ٣٧٧ .
(٦) « ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة ، قرية فوق أحساء » تاريخ ابن عساكر مجمع دمشق ١ / ٣٨٩ .

والتى لايمكن أن يجحدها . وابن رواحة هنا ، صاحب مذهب محمود فى رد الجميل إلى الناقة ، فهذا داود بن سَلْم المدنى[1] يخاطب قُثَم بن العباس ، أخا عبد الله بن العباس[2] :

نَجوْتِ من حلٍّ ومن رحلةٍ يا ناقُ إن أدنيتنى من قُثَمْ
إنك إن أدْنَيتِ منه غداً حالفنى اليُسْرُ ومات العدمْ

وتبعهما الحسن بن هانىء فقال وأحسن :

وإذا المطىُّ بنا بلغن محمداً فظهورهُنَّ على الرجال حرامُ
قرِّبنا من خيرِ مَنْ وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمامُ

ويستمر ابن رواحة مستخدما واو العطف فكأنه يقول وإذا جاء المسلمون وهذا شىء طبيعى أن يعود باقى الجيش صالحاً سالماً ، ولكنه يأتى بالفعل فى صيغة الماضى ، فكأن الجيش قد جاء فعلا . ويأتى بالصيغة نفسها مباشرة « وغادرونى » فكأن الرجل قد استشهد فعلا وعاد جيش مؤتة كونه . كما يأتى بـ « مشتهى الثواء » فشهوته أن يبقى فى أرض الشام شهيداً . وكان رحمه الله يظن أنه سيبقى وحيداً هناك ، والواقع أنه استشهد معه آخرون . ويعود إلى مخاطبة ناقته مستعملا واو العطف :

وردُّك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

فإذا رد هذه الناقة إخوته فى الإسلام ، القريبون من الرحمن بأعمالهم الصالحة ،

---

(١) من مخضرمى الدولتين ، الأموية والعباسية . غ ٦/١٠ .
(٢) انظر غ ٦/٢٠ و ٩/١٦٩ و م الأدباء ٤/١٩٢ والخزانة ٣/٣٣ وابن عساكر ٥/٢٠٠ والسمط ١/٢١٩ .

وبقى منقطع الإخاء ، فليس معه إخوة فى النسب ولا فى الدين ، إذ غادر الدنيا فهذه هى منيته الصحيحة ، وهذه هى فرحته الحقيقية ، وبالقياس لهذه الفرحة ، ما أرخص فرحة الدنيا ، بما فى ذلك فرحه بأول مايبدو من ثمر نخله الذى يشرب ويرتوى بعروقه فيستغنى عن السقى والسماء ، أو الذى يقوم هو بخدمته . وكأنى بابن رواحة هنا يستفيد من من أخوة الإسلام الحقيقية ، ومعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما آخى بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين المقداد بن عمرو[1] . ويفهم من البيت الأخير أنه كانت له علاقة بالنخل الذى تعرف به بيئة المدينة المنورة . . وفى هذه الرحلة قال عبد الله بن رواحة لزيد ابن أرقم .

يازيدُ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبلَ
تطاول الليلُ هُدِيتَ فانزلِ

وقد أضاف زيداً إلى الإبل القوية على العمل ، الضامرة من طول السفر لحسن قيامه عليها ومعرفته بحدائها ، وطلب منه داعياً له بالهداية أن ينزل عن راحلته ويحدو الإبل ، وينشطها بالحداء ، ويزيل عنها التعب والإعياء ، فإن الليل قد طال . والشاعر يصف الإبل بالقوة المطلوبة منها لقطع تلك المسافات الشاسعة ، وبالضمور ، وذلك دليل على تأثير السفر فيها . ونتبين من هذين البيتين العلاقة الوثيقة بين الحداء ليلا وتنشيط الإبل . وقد تستفاد العلاقة بين الحداء وبحر الرجز . فلا يستبعد أن يكون ابن رواحة أخذ يترنم للإبل بهذين البيتين اللذين يخاطب بهما زيد بن أرقم . وها ، بالإضافة إلى بقية الرجز الذى ينسب لابن رواحة دليل على أن عدد أبيات الرجز محدود فى تلك الأثناء .

---

(١) ا ص ٢ / ٢٩٨ .

وهو يأتى بجمله « هديت » ، وهل هناك دعاء لزيد فى نظر ابن رواحة المؤمن يتقدم الدعاء بالهداية ؟

قال زيد (بن أرقم) : ثم نزل (ابن رواحة) فصلى ركعتين دعا فيهما دعاء طويلا ثم قال لى : ياغلام ، فقلت لبيك . فقال : هى إن شاء الله الشهادة »[١] لقد بلغت نفس ابن رواحة من الرقة والشفافية والإخلاص فى حب الله لدرجة الثقة والاطمئنان إلى أن الله عز وجل قد استجاب دعاءها .

هذا التصميم على الشهادة هو الذى جعل لابن رواحة رأيه الخاص حينما نزل الجيش « معان فبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب[٢] فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة[٣] فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم . وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالا . فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة فشجعهم ثم قال : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . انطلقوا ، فوالله لقد رأيتنا يوم بدر مامعنا إلا فرسان ويوم أحد فرس واحدة . فإنما هي إحدى الحسنيين . إما ظهور عليهم فذلك ماوعدنا الله ووعد نبينا وليس لوعده خلف وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم فى الجنان . فتشجع الناس على مثل قول ابن رواحة[٤] » وهل كان ينتظر من ابن رواحة سوى التصميم على الجهاد ، مهما كان العدو كثيراً فى العدد والعدة ، وقد لاحت له تباشير الشهادة ؟ !

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣٩٣/٧ .
(٢) مآب ، بوزن معاب : مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء .
(٣) تاريخ ابن عساكر مجمع دمشق ٣٨٩/١ .
(٤) المصدر نفسه ٣٩٥/١ .

وفى معان ، نظم ابن رواحة مقطوعة من بحر الوافر الذى ينسجم تماماً مع الاندفاع والحماس الذى عُرِفَ به كل واحد فى الجيش ، ومع وقوع حوافر الخيل التى ترجم الأرض بها . وليس ببعيد عنا تلك المقطوعة التى نظمها فى نفس الوزن ، وقد يكون متأثراً بابن رواحة ، قيسُ بنُ المكشوح المرادىّ قاتل رستم قائد الفرس فى موقعة القادسية ، فى مقطوعته ومطلعها (١) :

جلبت الخيل من صنعاء تردى بكل مدجّج كالليث سامى

ومقطوعة ابن رواحة هذه يدور الحديث فيها عن الخيل ، والمراد بطبيعة الحال أربابها ، فتقدمها من تقدمهم ، وتجشمها للصعاب من تجشمهم ، واقتحامها قلب المعامع من تصميمهم على الجهـــاد فى سبيل الله ، وبذل الأرواح رخيصة ابتغاء مرضاته . ويبدؤها ابن رواحة بقوله :

جَلَبْنا الخَيْلَ من أجأ وفَرْعٍ تُغِرُّ من الحشيش لها الكُومُ

ولا يخفى مايرتبط بالفعل « جلب » من صياح وجلبة وزجر واستحثاث للخيل بقصد أن تسرع بل أن تسبق . ولكن تسبق ماذا ؟ وإلى أين ؟ إنها يسبق بعضُها البعض . فالمعروف أن الفرس فى القطيع أسرع منه وحيداً . أما إلى أين ، فإلى أولئك الذين قتلوا رسولَ رسولِ الله كىْ يذوقوا وبال أمرهم ، ويذكر الشاعر اسمين من الأماكن التى مر بها جيش مؤتة « أجأ وفرع » ويشير إلى طبيعة عنايتهم بالخيل ، فهى تطعم كميات معلومة من الحشيش الذى تحب .

وينتقل إلى تصوير المشقة التى عانتها الخيل ، والطرق الوعرة التى أرغمتها عزيمة أصحابها على سلوكها .

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ٣٢٠ .

حذوناها من الصوّان سِبْتًا أزَلَّ كأنَّ صَفْحَتَهُ أديمُ

لقد اتصلت الطرق الصعبة الوعرة غير المألوفة ببعضها . فلا تقع حوافر الخيل إلاّ على حجارة .

وكأن الصوان[1] لعدم إخطاء حوافرها لها أو انحرافها عنها ، نعالٌ مدبوغة ملساء تلبسها . ويعين المدة التى مكثها الجيش فى معان ، وهى ليلتان ، وفى هذه الفترة كانت الخيل قد نالت قسطاً كبيراً من الراحة بعد المشقة التى عانت :

أقامت ليلتين على معانٍ فأعْقَبَ بعد فترتها جُموم

ويلاحظ فضل مثل هذا التحديد الزمنى على التاريخ . وأتى الله بالصباح فتحرك الجيش الغازى ، واندفعت الخيل مرسلة طليقة وكلها نشاط وحيوية ، وكان الجو لاهـــاً ، فهى تستنشق هواءه الحار . ولا يخفى المشقة التى يعانيها الفرسان ضمْناً :

ويأتى البيت الذى ينم عن إيمان وقوة وثقة وعزيمة لا تثنى .

فلا وأبى مآبَ لنأتِيَنْها وإنْ كانتْ بِها عَرَبٌ وروم

إنه يأتى بلا النافية ، وكأنه يجيب أولئك المغرورين بكثرتهم الذين يقول لسان حالهم : إنه لا يمكن للمسلمين القليلى العدد والعدة أن يبلغ بهم الاستهتار ، إلى حد أن يأتوا إلى مآب ، المكان الذى نعسكر فيه . فيقول ابن رواحة بملء فيه : لا ، مآبَ لنأْتِيَنْها ، ولا يخفى دور لام القسم الفعال فى « لنأتينها » ثم هو قد قدم المفعول به « مآب » وفى ذلك شد للانتباه ودلالة على التصميم ،

---

(١) ضرب من الحجارة شديد ، واحدتها صوانة .

وقد سبق ذلك بواو القسم ثم بالمقسم به ، أبيه . وقد لا يتوقع مقسمٌ به كهذا من ابن رواحة المؤمن . وعذره فى ذلك أنه يتمشى مع الوزن الموسيقى ، وليس الوقت وقت تنقيح للشعر أو تهذيب ، ثم إنّ العهد قريب بالعادات الفنية الجاهلية . والشطر الثانى « وإن كانت بها عرب وروم » يدل على تصميم الجيش الإسلامى ، الذى كان على علم تام بحقيقة عدوه .

ونلاحظ هنا أيضاً التوافق التام مع الأخبار التاريخية . ويقول مستمراً :

فَعَبَّأنا أَعِنَّتَها فجاءتْ عوابِسَ والغبارُ لها بَريمُ
بذى لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه إذا بَرَزَتْ قوانسُها النجومُ

وهو يجىء بالفعل الماضى « عبأ » فهم قد انتهوا من تجهيز الأعنة . فلم خصّها بالذكر ؟ لارتباط الأعنة بالمرحلة الأخيرة من التعبئة ، فحينما يكون الفارس ممتطياً جواده يلاعب عنانه . وفى تجهيزه له تجهيز ضمنى لكل ماعداه فكأن الشاعر يقول : نحن فى أكمل عدة وأتم استعداد . ويردف ذلك الفعل الماضى بآخر « فجاءت عوابس » إن هذه الخيل تبدو عوابس لكل عين . إنها تستمد هذه الصفة من خطورة الموقف وصرامة أصحابها . وقد أثارت غباراً امتزج لونه بلونها حينما اندفعت بجيش المسلمين ذى الضجيج والصياح ، المدجج فى سلاحه ، المعنى به ، فكأن أعالى بيض الحديد النجومُ المتألقة ، حينما خرجت نهاراً كتائب الفرسان إلى البراح . ويقول عن هذه الكتائب :

فراضيةُ المعيشةِ طلّقتْها أسنّتُها فتَنْكح أو تَئِيمُ

فهذه الفئة المجاهدة فى سبيل الله ، حينما شرعت الأسنة ، طلقت تلك المعيشة التى كانت راضية بها ، واستقبلت أخرى قوامها بذل الروح رخيصة فى

سبيل الله جل وعلا . وسواء فى نظرها أن يقدَّرَ لها البقاء فتعود بعد الفوز بثواب الجهاد إلى أخذ نصيبها من الدنيا ، أو تُسْتَشْهد . وقد جعل النكاح رمزاً للبقاء ، والأيْمَ ، بمعنى البقاء بلا زوجة ، رمزاً للموت .

وأخيراً تم اللقاء بين الجيشين فى مؤتة . واستشهد زيد بن حارثة وجعفر فحمل الراية ابن رواحة ، وتقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أَقْسَمْتُ يانفسُ لتَنْزِلنَّهْ
طائعـــــةً أو فَلَتُكْرَهِنَّهْ
إذْ أَجْلَبَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّهْ
مالى أراكِ تَكْرَهين الجَنَّهْ
وطالما قد كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ
هَلْ أَنْتِ إلاّ نُطْفَةٌ فى شَنَّهْ

وقال أيضاً :

يانَفْسُ إلا تُقْتَلِى تموتى
هذا حِمام الموتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ
إنْ تَفْعَلِى فِعْلَهُمَا هُدِيتِ
أَوْ تُبْتَلَىْ فطالما عُوفِيتِ
وإنْ تأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ

فهاتان المقطوعتان من بحر الرجز وليدتا ساعتهما . وواضح أن المعركة من حيث العدد والعدة غير متكافئة ، والقائد حامل الراية ، فى مثل هذا الوضع ، هدفٌ للفئة الأخرى . لقد اتضحت لابن رواحة النهاية وثبتت فى نظره الشهادة والمسألة تحتاج فقط قليلا من التقدم . ويتبين الموقف الرهيب ، خاصة ونحن بصدد نفس شاعرة ، تتمثل خفايا الجزئيات بوضوح ، بل قد تجسمها . والوضع فى مؤتة بطبعه لايحتاج إلى تمثل أو تجسيم ، فقد قتل زيد الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى لاينطق عن الهوى : « إن أصيب فجعفر » وقتل جعفر ، الذى قال عنه : « وإن أصيب فعبد الله بن رواحة » . والآن القائد ابن رواحة . لقد تحقق قوله صلى الله عليه وسلم بإصابة الأميرين ، ويوشك أن يتحقق قوله فى ابن رواحة . وعما قليل ، سيكون للمسلمين قائد غيره ، وربما آخر وثالث وهكذا . إنه الموت ، وإنها الشهادة ، وإنه الصراع الأزلى فى الأنفس بين الرغبة والرهبة من الموت ، وإنه الطمع عند النفوس المؤمنة المطمئنة فى لقاء وجه الله عزوجل . وإنه الموقف فى المعركة الذى يتساوى فيه للوهلة الأولى الجبان والشجاع ثم يفترقان . الجبان ينكص والشجاع يتقدم . كل ذلك وكثير غيره صادفه ابن رواحة فى تلك اللحظة الحرجة التى لم يَطُلْ فيها تردده . فسرعان ما انتصر الحق فى نفسه على الباطل فاندفع وقاتل حيناً ثم نزل « فلما أتاه ابن عم له بعَرْق[1] من لحم فقال : شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه مالقيت . فأخذه من يده ثم انتهش[2] منه نهشة ، ثم سمع الحَطْمة[3] فى ناحية الناس ، فقال : وأنتَ فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتِل »[4] .

---

(١) العظم الذى عليه بعض اللحم .

(٢) أخذ منه بفمه يسيراً .

(٣) زحام الناس ، وحطم بعضهم بعضاً .

(٤) السيرة ٢/٣٧٩ والاستيعاب ٢/٢٨٦ .

ونحن نود أن نقف عند تردد ابن رواحة أول الأمر . فمثل هذا الموقف يصادفه عادة أعظم الشجعان ، فقد صادفه عمرو بن الإطنابة ، الفارس الخزرجى والشاعر الجاهلى : يقول مثلا[1] :

أَبَتْ لى عِفَّتى وأَبَى بلائى ... وأَخْذِى الحمدَ بالثمن الربيحِ
وإقْدَامى على المكروهِ نَفْسى ... وضَرْبى هامةَ البطلِ المشيح
وقولى كلما جَشأَتْ[2] وجَاشَتْ ... مكانكِ ، تحْمَدِى أو تستريحي

وصادفه فارس اليمن ، عمرو بن معد يكرب إذ يقول[3] :

فجاشَتْ إلىَّ النفسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ورُدَّتْ على مكروهها فاستقرت

وصادفه صاعقة من صواعق الدنيا ، قطرِىُّ بنُ الفجاءة المازنى . يقول[4] :

أقول لها وقد طارت شَعاعاً[5] ... من الأبطالِ وَيْحكِ لنْ تُراعى

ويحدث من كل هؤلاء الأبطال الأفذاذ ترويض للنفس على الصبر على المكروه .

وواضح أن هذا الشعور طبيعى ، وليس مصدرُه الجبنَ والفرقَ ولكنه التقدير الصحيح للموقف ، فإن لذلك اليوم مابعده . وفرقٌ بَيِّنٌ بَيْنَ صحيح

---

(١) اثير ١ / ٢٨١ والعيون ١ / ١٢٦ والعقد ١ / ١٢٢ وم المرزبانى ٢٠٤ والأمالى ١ / ٢٦٢ وحم بحترى ص ١ والمجالس ٨٣ والأشباه ١ / ١٨ .
(٢) جشأت : تطلعت ونهضت جزعا وكراهة . وجاشت : غثت أو دارت للغثيان .
(٣) حماسة المرزوقى ١٥٨ .
(٤) ديوان الحماسة لأبى تمام (طبع صبيح) ١/٣٣ وحم بحترى ص ٣ .
(٥) الشعاع ، بفتح الشين : تفرق الدم وغيره .

التقدير الذى هذا موقفه ، وغير صحيحه ، الذى يتوجه إلى الحرب بشىء غير قليل من اللامبالاة ، فيسهل أكله . وفرق بين كذلك بين مرهفى الإحساس دقيقى الحساب الذين يدركون تماماً أن أدنى خطأ فى التقدير يجر قومهم إلى كثير من الويلات والدمار ، فكلهم إحساس وإدراك وبين بليدى الإحساس قاصرى الإدراك ، فما أسهل اصطيادهم وما أهونهم على أعدائهم .

لقد وجد ابن رواحة ريح الجنة ، فشخّص من نفسه مثالا خاطبه فى المقطوعة الأولى فى لهجة الجازم ، المحرض ، المرغب ، المُمَنِّى ، المؤنب ، المهون من شأن هذه النفس . فهو يبدأ رجزه مقسما بالله العظيم أن تنزل نفسه وتدخل فى قلب المعركة . وهو يأتى فى « لتنزلنه » بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وهاء السكت . ويكرر ذلك فى البيت التالى « لتكرهنه » وقد جعل من النون الثقيلة قافية . وواضح أن هاء السكت قوة لها . إن بحر الرجز ، فى صورته هذه يتمشى مع حماس الشاعر وشدة انفعاله . فالشطر من الرجز يعتبر بيتاً . والبيت الواحد عادة يتضمن معنى شبه مستقل بذاته . فكأن مايطلب فى شطرى البيت فى غيره يطلب فى شطره . وإن نون التوكيد الثقيلة هنا تتيح للنفس المنفعلة ، ذات دقات القلب السريعة ، أن تتخلص من كمية كبيرة من الشعور الذى وقفته النفس التى هذا وضعها على البيت الواحد من الرجز . ويلاحظ أن النون فى الأبيات الأخرى أصلية وليست للتوكيد ، ولكن لها نفس الدور لأن نطقها لايختلف . ويبدو هذا من نطق « الرنه » « الجنه » « مطمئنه » « شنه » .

ويبدو فى البيت الأول « أقسمت يانفس لتنزلنه » الأمر الجازم : وفى قوله « طائعة أو فلتكرهنه » إلزام للنفس بالنزول عن طريق الترغيب والترهيب .

وفى قوله « إذ أجلب الناس وشدوا الرنه » إذكاء لروح المنافسة فيها . وفى قوله فى صيغة الاستفهام الإنكارى : « مالى أراك تكرهين الجنة » إغراء

لها بأنه ليس بينها وبين الجنة إلا بضع خطوات تخطوها . وفى قوله « وطالما قد كنت مطمئنة » تأنيب لها على إلفها لنعيم الدنيا الذى طال أمده ، وكان الأولى بها ، وأمامها فرصة العمر ، أن تظهر بَرَمَها من هذا النعيم وفرحها بلقاء النعيم الأزلى .

وفى بيت الاستعارة : « هل أنت إلا نطفة فى شنه » إعطاء لهذه النفس القيمة الحقيقية لها ، فهى بمنزلة القليل من الماء الذى يبقى فى القربة ، وإنَّ جَسَدَه وعاء نفسه بمنزلة القِرْبة الخلق الصغيرة ، فتوشك نفسه أو روحه أن تغادره ، حتى لو سلم من هذه المعركة تماما كما يتوقع لقليل الماء فى السقاء البالى أن يتسرب منه .

وواضح أننا بصدد ألفاظ ذات صبغة إسلامية . فقوله « طائعة أو فلتكرهنه » يذكرنا بقوله تعالى « فقال لها وللأرض ائتيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قالتا أتينا طائعين »[1] . وعندنا لفظتا « الجنة » و « مطمئنة » اللتان تذكراننا بقوله تعالى « يا أيتها النفسُ المطمئنةُ * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى »[2] ولا يخفى أنه يستعمل « مطمئنة » للدلالة على نوع الحياة التى عاشها رضى الله عنه . ورحم الله ابن رواحة الذى كان يشقُّ على نفسه ابتغاء مرضاة ربه كثيرا .

وفى المقطوعة الثانية حينما يقول « إلاَّ تُقْتَلى تموتى » إنما يبين قوله السابق ، « هل أنت إلا نطفة فى شنه » فهناك نتيجة حتمية للحياة ، هى الموت ، وهو آت لا محالة ، ولن ينجو منه مخلوق . فالأولى بها وقد دنت من القضاء

---

(١) سورة فصلت ١١ .

(٢) الفجر : ٢٧ — ٣٠ .

عليها بالموت ، للدرجة التى أحست فيها بحرارته ، أن تهتبل الفرصة — وألا تضيعها . خاصة وأنها قد أعطيت ما تمنت من الشهادة . والعادة جرت أن يسعى الإنسان لما يطلب ويتمنى ، لا أن يُسْعَى إليه . ويستمر مخاطباً نفسه بأنها لا تنفرد بعمل كهذا ، فقد سبقها إليه زيد وجعفر ، وقد دعاهما الله إلى الطريق الصحيح ، طريق الشهادة . أفتأبى أن تكون تبعاً وقد فاتها أن تكون بِدْعاً ؟ أما آن لها أن تشعر بالملل لطول السلامة والعافية ، وقد حان وقت الابتلاء فى مرضاة الله ؟ ويقرر لها النتيجة الوخيمة لو أضاعت هذه الفرصة النادرة « وإن تأخرت فقد شقيت » ويتضح معنى « شقيت » من مقابلته لقوله « هديت » .

واستكثر ابن رواحة على نفسه أن ينتظر حتى يأكل شيئاً يسيراً من اللحم الذى أعطاه إياه ابنُ عمه ، فأنبها قائلا « وأنت فى الدنيا » يريد : أيجاهد إخوانك الآن بدونك ، فيقتلون ويُقْتلون وأنت تنعم بالطعام . وكانت نفسه أطوعَ له من بنانه ، فألقاه من يده ، وأخذ سيفه ، وقاتل حتى قتل .

رحم الله ابن رواحة رحمة الأبرار ، وأسكنه فسيح جناته ، وأنزله منازل الشهداء ، إنه على ما يشاء قدير[1] .

---

(١) قدر للراية فى وقعة مؤتة أن تصل إلى يد سيف الله خالد بن الوليد ، الذى قرر فى النهاية أن ينسحب بالمسلمين من المعركة غير المتكافئة ، ووصل الجيش المدينة المنورة . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عن أفراده : إنهم الكُرّار إن شاء الله . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك المسلمين بالتهيؤ لغزو الروم ، وكانت غزوة تبوك فى رجب سنة تسع « فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة » (السيرة ٥٢٧/٢) وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة =

. . . . . .

= ابن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البَلْقاء والدّاروم من أرض فِلَسْطين ، فتجهز الناس وأَوْعَبَ (جمعوا ما استطاعوا من جمع) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون » (السيرة ٢/٦٠٦) .

« قال ابن هشام (٢/٦٤٢) : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقبل أن يتحرك الجيش توفى صلى الله عليه وسلم ، وولى الخلافة أبو بكر ، فأنفذ جيش أسامة ، وأوصاه أن يفعل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر هنا مثلا ابن الأثير ٢/٣٣٥ .

رموز المصادر والمراجع الواردة بالديوان

ابن سعد	الطبقات الكبرى لابن سعد .
ابن عساكر	تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .
أثير	تاريخ ابن الأثير .
الأساس	أساس البلاغة للزمخشرى .
الأشباه	الأشباه والنظائر للخالديين .
الإصابة	الإصابة لابن حجر .
التاج	تاج العروس للزبيدى .
الجمهرة	جمهرة اللغة لابن دُرَيد .
الحماسة	حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى .
حم بحترى	حماسة البحترى .
الخلاصة	خلاصة الوفا للسمهودى .
الدار	دار الكتب المصرية .
الروض	الروض الأُنُف للسُّهَيْلى .
السمط	سمط اللآلى للبكرى .
السيرة	السيرة النبوية لابن هشام .
الصحاح	تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى .
الصحيح	صحيح البخارى .
الطبقات	طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
طبرى	تاريخ الطبرى .
العقد	العقد الفريد لابن عبد ربه .
ق	طبعة بولاق .
القاموس	القاموس المحيط للفيروزابادى .
الكامل	الكامل فى اللغة للمبرد .
اللسان	لسان العرب لابن منظور .
م . بكرى	معجم ما استعجم للبكرى .
م البلدان	معجم البلدان لياقوت .
هـ	معناه أن ما سيتلوه منقول من هامش المصدر .
الوفا	وفاء الوفاء للسمهودى .

ديوان

عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي

(*)(١)

١ — إذَا أدَّيْتِنى (٢) وَحَمَاتِ رحلى مسيرةَ أربعٍ بعْدَ الحِساءِ
٢ — فشأنُك أنْعُمٌ (٣) وخلاكِ ذَمٌّ ولا أرْجِعْ إلى أهْلى ورائى

(*) السيرة ٢/٣٧٦ والطبرى ٢/١/١٦١٣ وأثير ٢/٩٧ والاكتفاء ٢/٢٧٦ (١ — ٥) والخزانة ٢/٢٦٣ (١ — ٣) و ٣/٣٤ والكامل (أوربية) ٧٦ وتحقيق زكى مبارك ١/١١٤ وخلاصة الوفاء ٢٥٣ والأشباه ١/٢٢٢ والسمط ٢١٩ (١، ٢) واللسان «حسا» (١) و «خلا» (٢) و «بعل» و «أتى» و «سقى» (٥) وشرح درة الغواص ٢٢٨ والصحاح «بعل» و «أتى» والجمهرة ١/٣١٤ (٥) ومعجم البلدان «الحساء» والصحاح والتاج «حسا» (١) والتاج «بعل» و «أتى» (٥) والأضداد ٢٢٦ وابن عساكر ١/٩٥، ٧/١٩٣ (١ — ٣، ٥) و ٥/٤٣٧ (١، ٣ — ٥، ٢) والميدانى ٢/٢٣ (٢) واص ٢/٧٤٩ (١ — ٣).

(١) فى طريقه إلى غزوة مؤتة.

(٢) أديتنى: أوصلتنى، والخطاب للناقة. والرحل: مركب للبعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال. وجاء فى الكامل «الحساء، جمع حسى، وهو موضع رمل تحته صلابة، فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض، ومنع الرمل السماء أن تنشفه، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء. يقال: حسى وأحساء وحساء» وجاء فى ابن عساكر «مجمع مشق» ١/٣٨٩ «ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق أحساء». الخزانة ج ٣ والمبرد والبكرى وياقوت وابن الأنبارى والصحاح والتاج واللسان «حسا» «إذا بلغتنى» والخالديان وابن عساكر ج ١ «إذا بلغتنى ..... مسافة أربع» وحـ ٥ وحـ ٧ واص والاكتفاء «إذا أدنيتنى».

(٣) قاموس: «النعيم والنعمى بالضم: الخفض والدعة والمال كالنعمة بالكسر؛ وجمعها نعم وأنعم .... والنعمة بالكسر المسرة واليد البيضاء الصالحة كالنعمى بالضم والنعماء بالفتح ممدودة ج أنعم ونعم ونعمات بكسرتين وتفتح العين» ويقال =

٣ — وجاء المسلمون وغادرونى بأرضِ الشامِ مشتهىَ الثواءِ[١]

٤ — ورَدكِ كلُّ ذى نسبٍ[٢] قريبٍ

إلى الرحمن منقطعَ الإخاء

٥ — هنالك لا أبالى طلْعَ[٣] بَعْلٍ ولا نخلٍ أسافلها رواء

= افعل كذا وخلاك ذم ، أى وخلا منك ؛ أى لا تذم ، يريد أنه لا يكلفها سفرا بعد ذلك ولا مشقة ، وإنما تنعم مطلقة ، لتصميمه على الموت فى سبيل الله . وجاء فى الكامل « وقوله : ولا أرجع إلى أهلى ورائى ، مجزوم لأنه دعاء . فقولة لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له . فهذا الدعاء ينجزم بما يجزم به الأمر والنهى كما تقول ، زيد ليقم وزيد لا يبرح » المبرد والخزانة والسمهودى والبكرى وأثير واللسان وابن عساجـ ٧ والاكتفاء «فشأنك فانعمى» والخالديان « فدونك فانعمى » وابن الأنبارى « فزادك أنعم » وابن عسا «فحمدك أنعم » والميدانى « فشأنك فانعمى . . . أهلى ومالى « واص » فشأنك فانعمى » وابن عساجـ ٥ « فشأنك أنعمى » .

(١) ثوى المكان وبه : أطال الإقامة به أو نزل . والخزانة « المؤمنون . . . . منتهى الثواء » وجاء فيه : « وقوله منتهى الثواء ، هو اسم فاعل منصوب على الحال . وابن الأنبارى « وعاد المسلمون . . . منقطع الثواء » وابن عسا جـ ١ « وآب . . . . بأرض الروم مشتهر الثواء وجـ ٥ « المؤمنون . . . . مشهود » وجـ ٧ « آب . . . . . مشتهر » وأثير « مشهور الثواء » واص « المؤمنون وخلفونى . . . . مشهور » .

(٢) الاكتفاء « كل ذى رحم . . . منقطع الرجاء » وأثير « من الرحمن »

(٣) الطلع من النخل : شىء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته فى أول ظهورها « والبعل : النخل الذى يشرب بعروقه فيستغنى عن السقى ، يقال : قد استبعل النخل ؛ قال أبو عمرو : البعل والعذى واحد ؛ وهو ما سقته السماء ، وقال الأصمعى : العذى : ماسقته السماء والبعل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا سماء ، الصحاح ، رواية الصحاح « أنى » =

(*) (١)

١ — لَعَمْرِي لقَدْ حَكَّتْ رحى الحَرْبِ بعد ما
أطارتْ لُؤَيًّا قبلُ شَرْقًا ومغربا

٢ — بقيةَ آل الكاهِنَين(٢) وعزَّها
فعاد ذليلا بعد ما كان أغْلَبا

٣ — فطاح(٣) سلامٌ وابنُ سُنية عَنْوةً
وقِيد ذليلاً للمنـــايا ابنُ أخطبا

٤ — وأَجْلَبَ(٤) يبغى العِزَّ والذُّلَّ يبتغى
خلاف يديه ما جنَى حين أ لبا

= نخل بعل ولا سقى وإن عظم الأتاء » وهى رواية اللسان والتاج « بعل » والأتاء : البركة والنماء وحمل النخل ، واللسان « سقى » وابن الأنبارى والصحاح « بعل » وابن دريد والخفاجى « نخل سقى ولا بعل وإن عظم الأتاء » وابن عساكر ج ١ « طلع فحل » و ج ٧ « طلع نخل ولا بعل » .

(*) السيرة ٢/٢٠٢ . فأجابه (يعنى عباس بن مرداس) كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام .

(١) يرد على العباس الذى امتدح رجال بنى النضير ، وهذه المقطوعة تسجل إجلاء بنى النضير ، وما حل ببعض الشخصيات منهم .

(٢) الكاهنان ، قريظة والنضير ، يقال إنهم بنو الكاهن ابن هارون النبى عليه السلام . والأغلب الشديد .

(٣) طاح : ذهب وهلك . وسلام ، هو ابن مشكم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم . انظر السيرة ٢/٤٤ وابن أخطب ، هو حيي .

(٤) أجلب ، جمع وصاح معاً .

١ — كتارك سهل الأرض والحزنُ همُّه
وقد كان ذا فى الناس أكدَى وأصعبا

٢ — وشأسٌ (١) وعزّالٌ وقد صَلَيا بها
وما غيّبا عن ذاك فيمن تغيّبا

٣ — وعوفُ بنُ سَلْمى وابنُ عَوْفٍ كلاهما
وكعبٌ (٢) رئيسُ القوم حان وخُيِّبا

٤ — فبُعْدًا وسُحْقًا للنضير ومثلها
إنَ اعقبَ فتحٌ أو إنِ اللهُ أعقبا (٣)
(*) (٤)

٥ — يا قَيْسُ أنتم شِرارُ قومِكُمُ
قِدْمًا ، وأنتم أغثُّهم (٥) نسبَا

٦ — حالفتمُ الفُحْشَ (٦) والخيانةَ والـ بُخلَ جميعًا واللؤمَ والكذبا

---

(١) شأس ، هو ابن قيس ، أحد بنى النضير وكذلك عزال .
(٢) يريد كعب بن الأشرف .
(٣) إن الله أعقبا : أى إن الله جاء بالنصر عليهم .
(*) ديوان قيس بن الخطيم ١١١ والطبعة الثانية ١٦٩ .
(٤) ينقض قصيدة لابن الخطيم مطلعها :
ردّ الخليطُ الجمالَ فانقضبَا وقطّعوا من وِصالِكَ السَّببَا
ديوان ابن الخطيم ١٦٩ .
الخليط : المجاور لهم فى الدار ، وانقضب : انقطع منا . والسبب : الحبل .
(٥) الغث : المهزل الفاسد .
(٦) الفحش : عدوان الجواب ، ومنه : لاتكونى فاحشة ، لعائشة رضى الله عنها والخيانة أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح . واللؤم ، بالضم : ضد الكرم .

١ — يا قيسُ إنَّ الأسلابَ[١] أحرزها
من كان يغشى الذوائبَ القُضُبا
٢ — وأنتَ في الدار غيرُ محتضرٍ[٢]
حَرْباً ، وتدعو قتالنا لَعِبا
٣ — لو كنتَ فيهم والحربُ لاقحةٌ[٣]
لكُنتَ فيهم مغلَّبا ذَنَبا
٤ — نحن اسقبحنا ما في ديارِكُمُ
يومَ صَبَحْنا كُمُ بها عُصَبا
(*)[٤]
٥ — أشاقتك ليلى[٥] في الخليطِ المجانبِ
نَعَمْ فرَشاشُ الدَّمْعِ في الصَّدْرِ غالبي

---

(١) الأسلاب ، جمع سلب ، بالتحريك وهو مايسلب . يغشى الذوائب القصب : يجعل السيوف القواطع لأعالى الرءوس بمنزلة الأغطية لها .

(٢) محتضر : حاضر . يقال : حضر واحتضر ، ضد غاب . وجاء بعد البيت « لم يكن قيس بن الخطيم حضر يوم بعاث » .

(٣) والحرب لاقحة : أى مشتعلة ومتأججة ، مأخوذ من قولهم أساساً : لقحت الناقة ، كسمع ، بمعنى قبلت اللقاح ، بالفتح ، فهى لاقح . والمغلب : المغلوب مراراً .

(*) ديوان ابن الخطيم ١٣٥ والطبعة الثانية ١٩٩ (١ — ١٥) وأثير ٢٨٨/١ وأوربية ٥١٣/١ (١ — ٣ ، ٨ — ١٣) والأشباه ٢٨/١ (٧ — ١٠) .

(٤) يجيب ابن الخطيم ، على قصيدته التى مطلعها :

أتعرِفُ رَسْمًا كاطِّرادِ المذاهبِ لِعمْرةَ وَحْشًا غيرَ موقف راكبِ

ديوان ابن الخطيم ٧٦ .

(٥) أثير : « وليلى التى شبب بها ابن رواحة هى أخت قيس بن الخطيم ،

١ — بَكَى إثْرَ مَنْ شَطَّتْ نَواه[١] ولم يَقِفْ
لحاجةِ محزونٍ شكا الحبَّ ناصبِ

٢ — لدُنْ[٢] غُدْوةً حتى إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ
وراح له من همه كلُّ عازبِ

٣ — تَبَيَّنْ فإنَّ الحُبَّ يَمْلَقُ مُدْبِرًا
قديماً إذا ما خُلَّةٌ[٣] لم تُصاقِبِ

٤ — كَسَوْتُ قُتودي[٤] عِرْمِسًا فنَصَأْتُها
تَخُبُّ على مُسْتَهْلِكاتٍ لواحب

٥ — تُبارى[٥] مطايا تتَّقى بعيونها مخافةَ وَقْعِ السَّوْطِ خَوْصَ الحواجب

= وعمرة التى شبب بها ابن الخطيم هى أخت عبد الله بن رواحة ، وهى أم النعمان ابن بشير الأنصارى » والخليط : المخالط ، والقوم الذين أمرهم واحد . ويقال : جانبه مجانبة وجنابا : صار إلى جنبه وباعده ، ضد . والأخير هو المراد هنا . ورشاش الدمع : ماسال منه وتفرق .

(١) النوى : الدار والتحول من مكان إلى آخر . وناصب : معي ومتعب . أثير: « ولم يقم » .

(٢) لدن : ظرف زمان ، وتأتى ظرف مكان أيضاً . ويقال : عارضه فى المسير ، إذا سار حياله . وراح من الرواح ، بمعنى العشى ، أو من الزوال إلى الليل ، ويقابله الصباح . وعازب الأموال هى الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، بمعنى تبعد . والمراد هنا همومه التى تنصب دفعة واحدة . أثير « أراحت له من لبه » .

(٣) الخلة بالضم : الخليلة : وتصاقب : تقارب وتواجه ، ومنه جار مصاقب .

(٤) القتود : الرحل أو خشبه . والعرمس : الناقة الصلبة . ونصأ الدابة : زجرها أو رفعها . والمستهلك : الطريق الذى يجهد من سلكه . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذى لاينقطع .

(٥) تبارى : تعارض . والخوص : بالتحريك : غئور العين . والمراد بالحواجب الأعين .

١ — إذا غيَّرَتْ أحسابُ قومٍ وَجَدْتَنا
دوِى نائلٍ فيهـا كرامَ المضـاربِ[١]

٢ — نُحـامِى على أحسابِنـا بِبِلادنا
لِمُفْتَقِرٍ أو سائِلِ الحقِّ راغبِ[٢]

٣ — وأعمى هَدَتْهُ للسبيلِ حلومُنـا
وخصمٍ أقَمْنـا بعد ما لجَّ ، شاغبِ[٣]

٤ — ومُعْتَرَكٍ ضنكٍ ترى المَوْتَ وَسْطَه
مَشَيْنَـا له مَشْىَ الجِمـالِ المصـاعبِ

٥ — بخُرْسٍ ترى المـاذىَّ[٤] فوق جلودهم
وبَيْضًـا نِقـاءً مِثْلَ لونِ الـكواكبِ

٦ — فهم جُسُرٌ[٥] تحت الدُّروع كأنَّهم
أسود متى تُنْضَ السيوفُ تضـاربِ

---

(١) بعده فى ديوان قيس : « ويروى الضرائب » والأشباه « وجدتنا إلى مشعر فيها » وفيه « قوله : إذا غيرت .. .. ، أى أن يشحوا بعد الجود لما صاروا إليه من الشدة والجهد .. .. »

(٢) أثير « واجب » .

(٣) الشغب ، بالسكون ، ويحرك : تهييج الشر . أثير : « بعدما نج ثاعب » والأوربية « بعدما نج شاغب» .

(٤) الماذى : الدروع السهلة اللينة أو البيضاء . أثير « برجل ترى .. .. .. وبيضاً نقياً » .

(٥) الجسر ، بالضم وبضمتين ، جمع جسور . تنض السيوف : تسل . أثير « وهم حسر . لافى الدروع تخالهم أسوداً متى تنشا الرماح تضارب » .

١ — معاقلهم[١] فى كلِّ يَوْمٍ كريهةٍ
مع الصبرِ منسوبُ السيوف القواضب

٢ — فَخَرْتُمْ بجمعٍ زاركم فى دياركم
تَغَلْغَلَ حتّى دُوفعوا بالرّواجب[٢]

٣ — أباح حُصوناً ثم صمّد يبتغى
مِظَنَّةَ حَىٍّ فى قريظةَ هـــارب

(*)[٣]

٤ — رَهَيْنَاكَ أيّامَ الفِجارِ فلم تَزَلْ
حَمِيًّا فَمَنْ يَشْرَبْ فلَسْتَ بشاربِ

---

(١) المعاقل ، جمع معقل ، وهو الحصن : أثير « مع الصدق » ..

(٢) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع التى تلى الأنامل ، وقيل هى بواطن مفاصل أصول الأصابع ، واحدتها راجبة :

(*) أثير ١/٢٨٥ وبيروت ١/٦٧٦ .

(٣) يخاطب قيس بن الخطيم ، وأعتقد أن هذا البيت من نقيضة منها أيضاً الأبيات السابقة مباشرة. وقد جاء فى أثير أثناء حديثه عن يوم الفجار الأول للأنصار « فكان قيس بن الخطيم فى حائط له فانصرف ، فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف : ثم خرج معهم ، فعظم مقامه يومئذ ، وأبلى بلاء حسناً ، وجرح جراحة شديدة : فمكث حيناً يتداوى منها ، وأمر أن يحتمى عن الماء » فلذلك يقول عبد الله بن رواحة البيت .

(*) [1]

١ — يا نفسُ إلاّ [2] تقتلى تموتى
٢ — هـذا حِمامُ [3] الموتِ قد صليتِ
٣ — وما تمنّيتِ فقد أُعطِيتِ
٤ — إن تَفْعَلِي فِعْلَهُما هُديتِ [4]
٥ — إن تَسْلَمى اليوم فلن تفوتى [5]
٦ — أو تُبْتَلَىْ [6] فطالما عُوفيت
٧ — وإنْ تأخّرْتِ فقد شَقِيت
٨ — هل أنت إلاّ إصْبَعٌ دَمِيت
٩ — وفى سبيل الله ما لَقِيت ؟

(*) السيرة ٢/ ٣٧٩ ، وأثير ٢/٩٨ والطبرى ٢/١/١٦١٥ والاستيعاب ؛ والاكتفاء ٢/٢٨٠ (١ — ٤) وحم بحترى ص ٢ (١ ، ٥ ، ٦ ، ٢ ، ٣) واللسان « حمم » (٢) و « صبع » والروض ٢/٢٣٥ (٨ ، ٩) وجاء فى الأخير « وقال (صلى الله عليه وسلم) إما متمثلا وإما منشئا » . والجمهرة ٢/٣٠٣ (٨،٩) وابن عسا ٧/٣٩١ (٨ ، ٩ ، ١ — ٤) وفى السيرة ١/٤٧٦ ينسب (٨ ، ٩) للوليد بن الوليد بن المغيرة .

(١) فى مؤتة .

(٢) أثير وبحترى وابن عبد البر « إن لم » .

(٣) الحمام ، ككتاب : قضاء الموت وقدره وصليت : قاسيت حرها . وبحترى « هذى حياض » .

(٤) يريد صاحبيه زيدا وجعفرا .

(٥) لن تفوتى : لن تذهبى وتبعدى .

(٦) قاموس: « والتكليف بلاء ، لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار. والبلاء يكون منحة ويكون محنة » والعافية : دفاع الله عن العبد . وعوفيت : وهب الله لك العافية من العلل والبلاء .

(*) (١)

١ — لكنّني أسألُ الرّحمنَ مَغْفِرَةً
وضربةً ذات فَرْغٍ (٢) تقذِفُ الزّبدا

٢ — أو طعنةً بيدَيْ حرّانَ (٣) مجهزةً
بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

٣ — حتّى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي (٤)
أرشده الله من غازٍ وقد رَشَدا

(*) السيرة ٢/٣٧٤ وطبرى ٢/١/١٦١١ وأثير ٢/٩٧ وابن عسا ١/٩٢ والاستيعاب ، والاكتفاء ٢ / ٢٧٥ (١ — ٣) وابن سعد ، طبعة بيروت ٢/١٢٨ (١) .

(١) قبيل مغادرته إلى مؤتة ، حين قال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم صالحين .

(٢) إذا تأملنا هذه المادة فى المعاجم فإننا ننتهى إلى أن المراد من قول ابن رواحة « وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا » ضربة ذات جرح واسع يتدفق دمه وتطفو رغوته .

(٣) حران : عطشان ، والأنثى حرى . ومجهزة : سريعة القتل متممته ، والنفاذ : جواز الشىء عن الشىء والخلوص منه كالنفوذ ، ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه ، والحشى : مادون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ، أو ما بين ضلع الخلف التى فى آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن أو الخصر ، والجمع أحشاء . ابن عسا « وقال البيهقى : حمران . بدل : حران » .

(٤) الجدث ؛ محركة : القبر ، والجمع أجدث ، بضم الدال وأجداث . وأرشده الله :هداه إلى الرشد ،بمعنى الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. طبرى « حتى يقولوا ... أرشدك » وأثير والاستيعاب « يقولوا ... يا أرشد الله» وابن عسا « يقولوا وقد مروا ... يا أرشد الله » والاكتفاء « ما أرشد الله » .

(*)[1]

١ — تَذَكَّر بعد ما شطَّت[2] نجودا وكانَتْ تيَّمَتْ قلبي وليدا
٢ — كذى داء يُرَى فى النّاسِ يَمْشِي ويَكْتُمُ داءهُ زَمَنًا عميدا[3]
٣ — تَصَيَّدُ غِرَّةَ[4] الفِتيانِ حتى تَصيدَهم ، وتَشْنَأُ أن تَصِيدا
٤ — فقد صادَتْ فؤادكَ يوم أبدت أسيلا[5] خدُّه صَلْتًا وجيدا
٥ — تَزِينُ معاقدَ[6] اللَّبَّاتِ منها شُنوفًا فى القلائد والفريدا

(*) مخطوط جمهرة أشعار العرب ، مكتبة الحرم المكى ، ومخطوطة بالمتحف البريطانى ، والمطبوع ص ١٢٢ وفى ديوان قيس بن الخطيم ، (الطبعة الثانية ١٤٥ (١) .

(١) ينقض قصيدة قيس بن الخطيم التى مطلعها :

صرمت اليوم حبلك من كلودا لتبدل حبلها حبلا جديدا

الديوان (الطبعة الثانية) ص ١٤٥ .

(٢) شط : بعد . والنجود : المرأة العاقلة والنبيلة . وتيمت قلبه : عبدته وذللته . رواية ديوان قيس « شحطت » .

(٣) العميد : من هده العشق .

(٤) الغرة : الغفلة . وتشنأ : تبغض . يريد أنها ، بجمالها ، تملك على الفتيان ألبابهم وتأسر بسحرها قلوبهم ، دون نية منها أو قصد . مخطوط المتحف والمطبوع «عورة» والعورة : الخلل من كل شيء .

(٥) الأسيل من الخدود : الطويل المسترسل . والصلت : الجبين الأبيض . يريد : لقد صادت فؤادك دون قصد منها ، يوم أبدت وجها أسيل الخد ، وجبيناً واضحاً ، وجيداً حسناً .

(٦) المعاقد ، جمع المعقد ، وهو موضع الانعقاد . يقال : هو منى معقد الإزار ، أى قريب المنزلة . واللبات ، جمع اللبة ، وهى وسط الصدر والنحر ، وكأنهم جعلوا كل جزء منها لبة ، ثم جمعوا على هذا . والشنوف ، بالضم ، جمع الشنف ، بالفتح ، وهو مايلبس من الحلى فى أعلى الأذن . والذى يلبس فى أسفلها القرط . والقلائد ، جمع القلادة ، وهى ماجعل فى العنق من الحلى . والفريد ، جمع فريدة ، وهى للشذرة من الفضة تفصل بين اللؤلؤ والذهب ، والجوهرة النفيسة كالفريدة ، =

١ — فإن تَضْنُنْ عليك بما لديها ... ويُصْبِحْ حبلُ نائلها[١] جديدا

٢ — لعمرك ما يوافقنى خليلٌ ... إذا ما كان ذا خُلْفٍ كنودا[٢]

٣ — وقد علم القبائل غيرَ فخرٍ ... إذا لم تلفَ مائلةً[٣] رَكُودا

٤ — بأنّا تُخرج الشَّتواتُ[٤] منّا ... إذا ما استحكمت حَسَبًا وجودا

٥ — قدوراً تَفْرَق الأوْصالُ فيها ... خضيبا لونُها بيضًا وسودا

٦ — متى ما تأتِ يثربَ أو تَرِدْها[٥] ... تَجِدْنا نحن أكرمَها جدودا

٧ — وأغلظَها على الأعداء رُكْنًا ... وأليَنَها لباغى الخير عودا

٨ — وأخْطَبَها إذا اجتمعوا لأمرٍ ... وأقْصَدَها[٦] وأوفاها عهودا

٩ — إذا نُدْعَى لثأرٍ[٧] أو لجارٍ ... فنحن الأكثرون بها عديدا

= والدر إذا نظم وفصل بغيره . يريد أن مواضع الانعقاد من وسط صدرها ومنحرها ، لحسنها وجمالها ، والتى فيها القلائد ، أضفت جمالا إلى جمال الحلى فى أعلى أذنيها والدر الذى نظم وفصل بغيره فى جيدها .

(١) النائل والنيل : ماتلته . والجديد : المقطوع . مخطوطة المتحف والمطبوع : « وتقلب وصل نائلها » .

(٢) الكنود ، بالفتح : البخيل ، والمرأة الكفور للمودة . مخطوطة مكتبة الحرم « خليلى » .

(٣) مائلة : ظاهرة واضحة ينظر إليها . وجفنة ركود : ثقيلة مملوءة .

(٤) الشتوات : جمع شتوة ، بمعنى الشتاء . وفى الشتاء تكثر المجاعات . والعرب تسمى القحط شتاء .

(٥) مخطوط المتحف « تزرها » .

(٦) أقصدها : أكثرها عدلا . من القصد بمعنى العدل . مخطوط الحرم « وأخبطها » تحريف .

(٧) مخطوط المتحف « لسبت » . والسَّبت : ضرب العنق . مخطوط الحرم « إذا يُدْعى لسيب » .

١ — متى ما تَدْعُ فى جُشَمِ[1] بنِ عوفٍ
تَجِدْنى لا أَعَمَّ ولا حَيُــودا

٢ — وحَوْلِي جَمْعُ ساعدةَ بنِ كعبٍ[2]
وتيمُ اللاتِ قد لَبِسُوا الحــديدا

٣ — زَعَمْتُمْ أَنَّما نِلْتُمْ ملوكًا ونزعم أَنَّمــا نِلْنــا عبيدا

٤ — وما نَبْغى من الأَحْلافِ وِتْرًا وقد نِلْنا المُسَوَّد والمَسُودا

٥ — وكان نساؤكُمْ فى كُلِّ دارٍ يُخَدَّشْنَ[3] المعاصِمَ والخدودا

٦ — تركنا جمجبى كبناتِ فَقْعٍ[4] وعَوفًا فى مجالسهــا قعودا

---

(١) هو جشم بن مالك بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج . والأعم، بالعين غير المعجمة : الغليظ . وحيود : مائل ومنحرف . مخطوط المتحف « ولا وحيدا » والمطبوع « لا أغم ولا وحيدا » والأغم ، بالغين المعجمة ، من الغَمم محركة ، وهو سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة . يقال : هو أغم الوجه والقفا . وهم يحبون النَّزَع ، بالتحريك ، وهو انحسار الشعر من جانبي الجبهة ، ويكرهون الغَمم . وتقول المرأة : إذا كان الفقر والنزع قل الجزع ، وإذا اجتمع الفقر والغمم تضاعفت الغمم ، جمع غمة بالضم ، بمعنى الحزن والكرب . ومن المجاز : سحاب أغم : لا فرجة فيه . عن التاج .

(٢) جاء فى جم حزم ٣٦٥ « ولد كعب بن الخزرج ساعدة » رواية ما عدا مخطوط الحرم « ساعدة بن عمرو » وقد جاء « ساعدة بن كعب » فى قصيدة ابن الخطيم البيت رقم (١٠) مخطوط الحرم « وتيم الله » . وجاء فى جم حزم ص ٣٤٦ أن تيم الله بن ثعلبة بن عمرو من الخزرج .

(٣) يخدشن : يخمشن ويمزقن . مخطوط الحرام « وكن نساؤكم » ومخطوط المتحف والمطبوع « يهرشن » تحريف .

(٤) الفقع ، بالفتح ويكسر : ضرب من الكمأة ، أو هى البيضاء الرخوة =

١ — ورهطَ أبى أُمَيَّة قد أَبَحْنَا وأَوْسَ اللهِ[1] أَتْبَعْنَا ثمودا

٢ — وكنتم تدَّعون يهودَ مالًا أَلَانَ وَجَدْتُمُ فيها يهودا ؟

٣ — وقَدْ رَدُّوا الغنائم فى طَرِيفٍ[2] ونَحَّام ورهطِ أبى يَزيدا

(*)[3]

٤ — رحم الله نافع بن بُدَيْلٍ رحمة المُبْتَغِى[4] ثوابَ الجهادِ

= من الكمأة ، وهو أردؤها . و « عوفا » رواية الجمهرة بتحقيق البجاوى (الطبعة الأولى) ومخطوط الحرم « كبنات نقع وقوفا » والنقع ، بالنون : الأرض الحرّة الطين يستنقع فيها الماء ، والقاع . مخطوط المتحف ، والمطبوع « وغوغا » تحريف . وجحجبى هو ابن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف .

(١) جاء فى السيرة ٤٣٧/١ أن أوس الله بن الأوس بن حارثة ، وتسكون أوس الله من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف . مخطوط الحرم: « وتيم الله » .

(٢) هم بنو طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . مخطوط الحرم :

« الغرائم » تحريف . والعزمة : الجد فى الأمر والقوة . ويقال : اشتدت العزائم ، أى عزمات الأمراء فى الغزو إلى الأقطار البعيدة وأخذهم بها . انظر التاج . وجاء فى مخطوط الحرم بعد البيت: « النحام : شديد الصوت . وقيل : البخيل : إذا سئل كثر سعاله كما قال طرفة :

أرى قبر نحّام بخيلٍ بماله كقبر عَوِىّ فى البطالة مفسد »

(*) السيرة ٢ / ١٨٨ والمغازى ٢٧٥ و ا ص ٣ / ١١١٩ والبيتان مع ثالث فى ديوان حسان ص ٩٠ .

(٣) يرثى نافع بن بُديل الذى قتل يوم بئر معونة .

(٤) ديوان حسان « المشتهى » .